الأبحاث

بقلم الدكتور عبدالله عبد الدائم

الناقد العربي والمسؤولية اللغوية بقلم نازك الملائكة :

دفاع عن العربية بقلم الشاعرة الكبيرة نازك الملائكة . وحسب نازك الملائكة ان تكتب ، ان تكتب اي شيء ، لتكون كتابتها دفاعا عن عبقرية اللغة العربية . حسبها ان ترسل الكلم معبرة دقيقة لا فضول فيها ، وان تصوغ العبارات متآخذة شفافة عن تمام الفكرة الثاوية وراءها ، ان هي ارادت ان تثبت للمتشككين قدرة العربية ، ضمن اطرها الاصيلة المعروفة ، على تشقيق المعاني من الالفاظ ، دون تحطيم الالفاظ ، وعلى تفتيق المضمون من الشكل ، دون تمزيق الشكل .

وهل اولى من الموهبة الكبيرة للتدليل على ان اللغة العربية لاتشكو عجزا فيها ، وانما تشكو عجز جاهليها ، وان انصار الخروج على قواعدها حين يعجزون عن الابداع يتخذون هذا الخروج مبدأ يخفون به عجزهم وينصبون ضعفهم مثلا اعلى ؟

والحق مهما يكن الصراع قائما بين اللغة والفكر في اي لغة من اللغات ومهما تكن الالفاظ مقصرة عن المعاني مجمدة لها في كثير من الاحيان ضمن اشكال مألوفة وتعبيرات مجتبة معروفة ، يظل من الصحيح دوما وابدا ان العبقرية تصهر الالفاظ صهرا جديدا وتحملها حرارة جديدة وتجعلها طوع معانيها ومشاعرها . وامارة الابداع الحق ماهو في ان يتصدى للغة منكسرا ، فلا يجد سبيلا سوى كسر قيودها الشكلية ، وانما هو في ان يتصدى لها تصديا ايجابيا خلاقا فيكسر فيها ارنها وجموحها وابتذالها من داخلها وفي قلبها ، دون ان يكسر منها الشكل والاطار . ان الاطار ليصبح طوع ارادتك ان صهرته صهرا جديدا فاخرجت منه ، بعد اذابته في حرارة ابداعك ، ماتشاء من وشي وما تحب من صور مبتكرة جديدة . وليس الشان معه ان يغلبك على امره فلا تجد مخرجا سوى ان تقتله وتقتل معناك معه ، ان تحطمه فلا تبقي فيه بقية من تعبير وتقذف بالوليد مع الوالدة .

والحق ان موقف التخاذل امام قيود اللغة ، موقف ينبيء عن سوء فهم للعقل الانساني . ان هذا العقل الذي اثبت قدرته على ادراك اكثر امور الكون تعقيدا والتغلب على اعوص مشكلاته ، يثبت دوما انه يعرف ان يخلق من كل قيد مناسبة لنوع جديد من الابداع . ان من الضعف الذي ان لنا ان نكشفه ان نزعم ان هنالك لغات عصية على الابداع العقلي ، وان هذا الابداع محطم بها مهيض الجناح بسببها . والصحيح هو ان العقل الانساني الجبار يعرف ان يخلق من طبيعة كل لغة ، بل من صعوباتها ، مجالا لابداع من نوع جديد يتناسب مع هذه الطبيعة وتلك الصعوبات . وكلنا يدرك كيف ان الصفات الخاصة التي تتصف بها بعض اللغات الاوروبية ، يجعل من ادب هذه اللغات وفكر هذه اللغات شيئا ذا مذاق خاص وابداعا من طراز فذ .

ثم ، مالنا وللبرهان على هذه البدهية ؟ اوليست اللغة اولا وآخرا وليدة عبقرية الامة ومعبرة عن طراز نظرتها وفهمها للاشياء ؟ أوليس ضعفها دليلا على تردي هذه العبقرية وانحدارها ؟ ان الابداع اولا واخرا صراع بين الفكر وبين اللغة ، اللغة التي ابدعها والتي يريد ان يتجاوزها ، وتجاوزه لها لا يكون الا بدءا منها ، من منطقها من اطرها .. واذا انقلبت المعركة الى فراق بين اللغة والفكر ، الى هجران احدهما للاخر ، لم تعد ثمة معركة ، ولم يعد ثمة مجال للابداع ، وكنا امام فرار من جوهر الجهد الانساني الخلاق .

ان الكاتبة الكبيرة قدمت خير وصف للازمة القائمة ، أزمة اهمال اللغة لدى بعض المحدثين ولدى كثير من الشعراء المحدثين ، حين جعلت من هذه الازمة ازمة حضارة وازمة امة ، وحين عدت هذه الظاهرة سمة لظاهرة اعم واشمل ترتد في نهاية الامر الى ضعف الثقة بالذات ، والى البحث عن الابداع خارج الذات . انها حقا أزمة لا يجوز اهمالها ولا يجوز ان نعدها مشكلة سطحية شكلية ، فهي في الواقع في القلب من مشكلتنا الكبرى ، مشكلة ايماننا ، كأمة عربية مُبدعة ، بقدرتنا على الابداع . انها مشكلة بحثنا عن انفسنا خارج انفسنا ، مشكلة الطفولة الفكرية التي تجعلنا نتخلى عن الاستقلال الفكري ، عن الحرية ، عن الاصالة . انها أزمة الغراب الذي « اضل مشيته واخطأ مشيها . »

ان كلمة نازك صرخة في حينها تدعو ادباءنا الى مواجهة المشكلة الحقة ، بدلا من التلهي عنها والتعلل بغيرها . ليست المشكلة ان نحمل ادبنا آراء وافكارا نحاول ان نضعها فيها قسرا حبا منا في بضاعة مجلوبة . وليست المشكلة ان نجد فيه ادواء ليست ادواءه ومسائل ليست مسائله ، وانما هي ان نستمد منه ، ومنه فعلا ، مواطن ضعفه ووسائل تطويره . ان الانسانية لا تنتظر منا كأننا هجينا ضل نسبه ، وانما تنتظر منا مولودنا ، مولودنا بقسماته وسماته ، بعد ان نحسن صياغتها ونتقن وشيها . وان لغتنا العربية اية من ايات عبقريتنا ، وهي التي كانت دوما رمزا لبلاغة فذة وحاملة لتراث انساني خالد . ان فيها فلسفتنا ونظرتنا الى الكون وانحناءات وجودنا وتعرجات عبقريتنا ومظاهر انسانيتنا . افنعجب ان يقول عنها ماسينيون بعد ان تذوقها : « ان البعث الدولي للغة العربية عامل أساسي في اشاعة السلام بين الامم في المستقبل . وقد كانت هذه اللغة في نظر كثير من الفرنسيين المسيحيين ـ وانا منهم ـ وما تزال ، لغة الحرية العليا ووحي الحب والرغبة التي تطلب الى الله ـ من خلال الدموع ـ ان يكشف عن وجهه الكريم » ؟

ازمة البطل المعاصر بقلم مطاع صفدي :

يقتطف الكاتب في هذا المقال لوحة من كتاب يبشر بصدوره قريبا ، كتاب « الثوري والعربي الثوري » . واللوحة عرض تحليلي عميق لتاريخ

القصة في العالم الغربي. فيه نلفي مخاض الرواية الحديثة ، وما تقلبت عليه من منعرجات المنازع قبل ان تنتهي الى الرواية الوجودية الحديثة ، التي يمثلها « سارتر » ويمثل بعض وجوهها « كامو » . بل ان هذا العرض التاريخي نفسه لايشير الى قصة القصة وتاريخ الرواية الا من خلال ما انتهت اليه على يد الرواية الوجودية الحديثة حتى لنستطيع ان نعده نبشا لبذور الرواية الوجودية في تاريخ الرواية .

انه ضرب من التحليل التراجعي ان صح التعبير ، فيه تلبس الاشياء الماضية معاني جديدة لم تكن لها ، اتخذتها بعد تكون الاشياء الجديدة .

هكذا ينطلق الكاتب في تحليل معنى الاسطورة على ضوء نظرة الفلسفة الحديثة ، فيبين كيف تتمثل البطولة فيها في « الخارق » ، وكيف يلفى المرء عن طريقها حريته بفضل تحرر سحري من قدر الطبيعة . ثم ينتقل الى القصة ، فيبين انها بنت العصر الحديث ، عصر التأزم والقلق وفي حديثه هذا عن القصة يعرض لاهم مراحلها عرضا دياليكتيكيا عميقا، فيروي لنا ماكان من واقعية « بلزاك » و « توماس هاردي » وما اتسمت به واقعية « دوستويفسكي » من غنائية سوداوية لاتعرف من المأساة الا مظهرها الخارجي . ويعرج في رحلته هذه عبر تفتق القصة الحديثة

ـ التتمة على الصفحة ٦٧ ـ

دار المعارف بلبنان

بناية العسيلي ساحة رياض الصلح ص. ب. ٢٦٧٦

تقدم

القصة البوليسية المخيفة التي تقع حوادثها في مخزن لتجميل وجوه الاموات بعد موتهم ...

الجثة

يلاحق مفتش البوليس المستر هومر عصابة مرعبة تقتل ضحاياها بطريقة خاصة لاتترك خلفها اثرا ...

تأليف
كارتر براون

ثمن النسخة
١٥٠ ق. ل.
أو ما يعادلها

القصص

بقلم نازك الملائكة

تعطيني القصص الثلاث المنشورة في العدد الماضي من « الاداب » فرصة لتشخيص صنفين من اصناف القصة العربية المعاصرة ، الصنف الذي يستمد ملامحه من بيئتنا العربية وتمثله قصة سميرة عزام ، والصنف الذي لايتطلع الا الى نماذج القصة الاوربية حتى يكاد يصبح فنا هجينا لا هو بالعربي ولا هو بالغربي ، ومنه القصتان الاخريان اللتان تختلفان في خطوطهما العامة على الرغم من وحدة الموقف الذي تتخذانه بازاء الفكر الاوربي . ومع انني قد تحاشيت ان اتحدث عن « القصة » كمضمون عام ، الا ان تناولي للاقاصيص الثلاث كان على اساس كونها نماذج غير مقصودة لملامح القصة العربية ومشاكلها .

ـ ١ ـ

« اطفال الاخرين » لسميرة عزام

موضوع هذه القصة تحليلي وقد استندت الكاتبة الى مشاهداتها النفسية والاجتماعية في تسليط الضوء على نفسية رجل طبيعي يجابهه الطبيب بانه لن يرزق اطفالا . وكان التحليل موفقا وقد رقرقت الكاتبة فيه عواطف غزيرة دافقة ، ومست الموضوع لمسات مرهفة لم تحرمها واقعيتها الصارمة من الطابع الشعري الجمالي . وتلك مزية عامة نلمسها في قصص سميرة فهي تصف الواقع وصفا عاريا لاتحاول ان تلطفه بأي شيء ، غير ان ذلك لا يفوت عليها الفرصة لرقرقة الجمال في صورها. وهي تثبت بذلك ان الشعرية مبذولة في كل ماحولنا من مظاهر الحياة . وانما ينبغي ان يملك الكاتب عينا تتذوق وعاطفة تتلقى .

وموضوع «اطفال الاخرين» وتفاصيلها كلها عميقة الصلة بالمحيط العربي المحلي . وتلك ايضا مزية نذكرها لقصص سميرة ، ولعلها مزية كل قصاص حقيقي . انها تنظر حولها وتلتقط الموضوع . ولا اذكر انها قد استمدت قط موضوعا من وحي القصص الاوروبية ، او حتى من مجرد خاطرة نظرية عابرة تمر بذهنها دون ان يتاح لها ان تعانيها . ان حكاية « اطفال الاخرين » تجري فيحياتنا كل يوم ، ولئن كان مثل ذلك لا يكفي لخلق قصة ناجحة فانه ولا ريب احد عناصر النجاح . ذلك ان الموضوعات المحلية موضوعات تعاش وتمتلك حيوية الحياة ، والكاتب يحسن التعبير عنها لانه عاناها وهو يرقب قريبا او جارا او حتى وهو يسمع حكاية في سهرة ما . وما من شيء كالحياة يغذي القصص الناجحة .

ومن هذا الموضوع صنعت الكاتبة هيكلا قصصيا مكتملا له بدايته ونهايته ، ومن الحق ان نلاحظ انه هيكل متماسك ليس فيه ثغرات ولا حشو . تبدأ القصة بالرجل الحساس الطيب وهو يغادر عيادة الطبيب وقد ضاق الوجود في عينيه ، وتنتهي به وهو يخرج من سلبية الياس ويقرر ان يثق بالوجود ويقاوم صوت الظلام في كيانه ، وذلك موقف طبيعي مستمد من الواقع الانساني ، فالحياة ترفض أن تستسلم والانسان يصارع ويرفع راسه محاولا ان يصيِّر الظلام نورا باهرا وحرارة متفجرة . وذلك هو المعنى العام وراء سلوك بطل القصة . وخلال ذلك تقدم لنا الكاتبة عرضا مركزا لمشاعر الرجل وآماله وجراحه وحيرته، وتنجح في رفع الازمة الى ذروتها حين يجلس الرجل مهدما محزونا وتصر

الادب الثوري
اقوى اعداد الاداب الممتازة
يصدر في اواخر الشهر القادم

زوجته ـ التي تسلك ببراءة ـ على ان تكأ جراحه بالتطلع الى اطفال الاخرين ذوي الرؤوس الشقراء والسوداء .

واذا كان لنا أنتقاد نوجهه الى هيكل القصة فهو ان الخاتمة كانت اضعف من ان تكفي لانهاء القصة واكمال هيكلها . ذلك ان سميرة قد صرفت مجهودا في بسط ظروف الرجل النفسية وما سببه له الموضوع من الم وحيرة وقد نجحت بذلك في خلق مشكل استثارت به عواطف القاريء والهبت تطلعه الى حله . ومن ثم فعندما جاء هذا الحل على صورة خاطرة عابرة سريعة نبضت بالامل في نفس الرجل ، كان ذلك غير كاف لاشعارنا بان ازمتنا التي استثارتها سميرة قد انفرجت ومما يضيف الى ذلك ان الحيز المكاني الذي شغله عرض المشكل كان كبيرا جدا بينما لم يستغرق الحل الا اسطرا، وذلك يشعر بعدم التناسب بين الازمة وحلها ويترك في نفس القاريء عطشا لم يرتو . وقد يكون مهما عند هذه النقطة من تعليقنا ان نؤكد اننا لا نصر على ان يكون الحل متفائلا ، فالحياة احيانا قاسية . وانما نتطلب الحل الدراماتيكي الملائم وذلك لا يكتمل الا بان تتوازن القوى الفعالة في القصة فتجيء الخاتمة كفؤا للازمة بحيث تحلها وتقنعنا بان القصة قد انتهت سواء على هذا الوجه او ذاك . والحق ان القصة كانت تحتاج الى خاتمة اخرى اقوى ، مثل ان تعلم الزوجة بما حكم به الطبيب فتظهر لزوجها من الحب والتفهم والتقدير ما يسنده في ازمته وينتشله من المه ، واذ ذاك تجيء نافذة الامل والحياة اكبر واكثر ضياء . ذلك ان الرجل في قصة سميرة يصارع همه وحيدا ، والقاريء يشعر ان زوجته لا تشاركه ما يعانيه . وذلك موحش بحيث يسدل ستارا على كل امل وبذلك تبقى الازمة غير محلولة .

اما التحليل النفسي فهو العنصر البارز في هذه القصة الجميلة ، وقد نجحت الكاتبة في ان تصنع لوحة اجتماعية محلية مكتملة . وكان الزوج المصدوم هو واسطة التصوير ، فهو صاحب النظرة ومن خلال مشاعره وجراحه راينا مشاهد الحياة الاجتماعية التي نعرفها حولنا . ولم تحاول الكاتبة ان تضفي زينة او تجميلا على هذا المجتمع و نما رسمته كما هو . ولعله ليس من المقبول ان نلوم سميرة على انها منحت بطلها حساسية مبالغا فيها وانها جعلت الم موضوع كرامة وكبرياء ، فان نماذج هذا الانسان موجودة في مجتمعنا الذي الف الكبت والكتمان وعدم الصراحة .

وقد نجحت سميرة عزام في تمييز شخصيات القصة وتلوينها .. الزوجة مولعة بالاطفال وفيها خصلة حماسة غير عادية بحيث تتدخل من شرفة منزلها سائلة المعلمة في مدرسة الاطفال ان تصفح عن طفل مشاغب فلا تحرمه من اللعب ، وبحيث تعرف اسماء الاطفال واحدا واحدا . تلك هي الخصلة الحلوة فيها ، ولعلها معارضة لشيء من البرودة نلاحظها عليها ازاء زوجها ، فهي لا تلاحظ انه مهموم هما شديدا ذلك اليوم ، كما انها لم تكن حساسة في ملاحظتها : « قل لامك أنني قصدت الطبيب .. وان نتيجة الفحص اكدت صلاحيتي للامومة . »

والزوج طيب وحساس ومتشائم ، وشخصيته اكثر تناسقا من شخصية الزوجة . وهو على العموم انسان مستوحش لا يحس بالاستقرار حتى مع أقرب الناس أليه وربما كان ذلك بسبب غزارة غير عادية في عواطفه وحب عظيم للحياة ، والواقع ان زوجته اقل حساسية منه وان كان ذلك لا يسره بشكل خاص . على ان الاثنين يتصفان بشيء من العنف ينشأ عن مبالغة في الكبرياء .

وقد نجحت سميرة في تصوير الشخصيات الجانبية ، واغتنت القصة بخلفية عذبة من حركات الاطفال وحكاياتهم . سمير يتمرد على المعلمة ويستأثر بالدراجة ، وخالد يصر على ان يجعل القطة تجلس في الارجوحة ليهزها حتى اذا قفزت هاربة اعادها بالقوة ، ومها تبدع في الرقص ، والنافذة تاتي دائما بمنظر الوجوه الصغيرة ، ويكون اخر ما نراه منها صورة الايدي البضة ترتفع لتحيي الرجل اليائس وتعيد اليه الامل في الحياة والسعادة .

ـ ٢ ـ

« الالوان » لمي يتيم

لعلنا لا نخطيء لو صفنا قاعدة تجري هكذا : « كلما كان الاثر الادبي اكمل بناء واوضح موضوعا كان اختيار عنوان له اسهل على الكاتب .»

ـ التتمة على الصفحة ٦٩ ـ

دار المعارف بلبنان

بناية العسيلي ساحة رياض الصلح ص. ب. ٢٦٧٦

تقدم

أروع قصة لأشهر غانية في باريس

الغانية نانا

قصة الفتاة التي استثمرت جمالها وجسدها فلعبت بعقول الناس.... وجعلتهم يتركون عائلاتهم لأجلها...

تأليف اميل زولا

قصة الجمال الذي سيطر على رجال باريس فسلب لبهم، واستولى على اموالهم...

ثمن النسخة ١٥٠ ق. ل. أو ما يعادلها

نقـــد الابحاث

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٤ ـ

ومخاضها العسير ، على الكاتب النفسي « بروست » الذي بدأ عنده المشكلة الكبرى التي ستكون قلب الرواية الوجودية الحديثة ، مشكلة « الضياع » وان يكن هذا الضياع عند « بروست » ضياعا فنيا . وينقله حديثه عن « بروست » الى الصميم من سمات الادب المعاصر ، ادب القلق لا أدب الحنين ، الى أنشودة الوحدة والعزلة ، الى ثلاثية الوحدة التي نظمها « كافكا » الى البطل المعاصر ، بطل العصر وأسطورته ، أي بطل المدنيـــة .

وبطل العصر بطل مفروض على كاتب الرواية مادام وليد أسطورة العصر وازمه . انه بطل السقوط . ولقد تبدى هذا السقوط لـــدى كاتب كدوستويفسكي في صراع البطل مع تناقضات المجتمع وقيمة الطبقية وكان هذا الشكل الاول للسقوط بداية المعاناة النضالية لبطل الروايه الحديثة ، ولكن في شكلها السلبي .

اما « بروست » فكان ايضا ممثلا لهذا الصراع مع نظام المجتمع ونظام الذات ، وكان ادبه استنفادا لهذه المرحله ، التي ستعقبها مرحله جديدة على يد « دوهاميل » حيث نجد الارهاص الواضح باتجاه العصر الحديث كله ، وولادة الموضوعة الاولى في موضوعات الرواية الوجودية ، موضوعية الفشل والعدم واللامعقولية . ومثل ذلك او اكثر منه يصدق على « جول رومان » حيث نجد بباشير فكرة « الضياع » وان كانت هذه البباشير مازال مبهمه ضائعة بعض الشيء . اما الروائي الذي رسم تجربة الضياع والسقوط رسما واضحا لاول مرة فهو « مالرو » زعيم جيل « الملعونين » والرائد الاول لفكرة العزله والوحدة والضياع ، وان نكن عزلته ادانـــة للوجود دون تحديد اي بهمة جزئية محددة ضده .

وقبل ان ينتقل الكاتب الى الصورة المثلى للروايه الوجوديه الحديثه على يد سارتر وكامو ، يعرج على الرواية الاميركية ويعقد مقارنة بـــين الكتاب الاوروبيين الذين يختارون ابطالهم عادة من المثقفين او الارستقراطيين او المنحرفين عقليا وبين الكتاب الاميركيين الذين يختارون هؤلاء الابطال من النماذج الوحشية المباينة للمدنية . ويحدثنا على هذا النحو عن « فولكنر » خاصه وعن بطله الاميركي « البطل الابله » ، هذا البطل الذي تتحدد معالمـه بوضوح اكبر على يد « شتاينبك » . وينتهي المطاف بالكاتب الى الحديث عن الرواية الوجودية في كامل صورها على يد « سارتر » فيصف لنـا بطله « بطل الضجر » والغثيان والقلق . يحدثنا عن الهوة الشاسعة التي يلجأ اليها ، في « الغثيان » وفي « طرق الحرية » ، عن البطل الـــذي هو وجـــود خالص لا مبرر لـــه . ويبين كيـــف بـــدأ مـــن هذه النقطة تلميذه العاق « كامو » الذي جعل من فكرة العزلة نغـم الوجـــود .

والعرض كله كما قلت تحليل عن طريق نظرة خلفية ، لمولد الروايه الوجودية الحديثة ولبذور هذه الرواية في تاريخ الفكر الغربي . بـــل انه في جملته ستند الى فكرة اساسية وهي ان القصه والروايه كانت اسرع الى اكتشاف الفلسفة الوجودية من الفلسفة ، ثم سارت معها بعد ذلك جنبـــا الى جنب .

والذي يلفت النظر في المقال كله اسلوبه الذي يجاور بصلة القربى بينه وبين أسلوب الكتاب الوجوديين الفرنسيين . بل هو في ايماءاته المكثفة العميقة واسارته الخاطفة لتجربة ثقافية طويلة ، أقرب الـــى نمط المعالجه الغربية منه الى اسلوب البحث العربي .

وان يكن لنا على المقال من مأخذ ، فاشارات هينات الى بعض الالفاظ . انه في جملته نجاح كبير في التعبير تعبيرا عربيا واضحا عن مصطلحات غربية فيها الدقة ولها مدلولاتها الفنيه الخاصة . وهو بهذا يفصح عـــن هضم بـــيّن لمستوى من التفكير الغربي العميق .

سوى ان بعض الالفاظ المعربة مانزال فيه غير مستقرة ، ونكتفي بـــان نذكر منها مايؤدي الى اخطار في المعاني . وأبرزها ترجمته لكلمـــة Roman - fleuve بالروايه المتتابعه . في حين ان هذه الكلمة تحمل مدلولا خاصا ، يسيء اليه ان نرده الى مجرد التتابع . انها كمـا نعلم الروايه التي تحرص على خلق عالم مغلق ، ينسبه النهر في غزارة مجراه وانتظامه . وهي بالتالي لاتخضع للعقدة والحل كما تخضع الرواية العاديه ، بل تنتهي فيها الامور نهايه قل عنها واكثر خضوعا للمنطـــق المجرد . وفيها يفقد الاشخاص أهميتهم ، الا اذا نظرنا اليهم كرواة وشهود لتطـــور ينجـــاوزهم .

كذلك لاندري لماذا يورد الكاتب اسم الرواية الثالثة من روايات طرق الحريه لسارتر باسم(سورزبس)في حين ان هذه الكلمة تعني ((التأجيل))!

حضارتنا ثورة فكرية بقلم عادل الهاشمي

الكلمة دفاع حار مؤمن عن التراث العربي وشأنه ، بوجهه الكاتب خاصة الى اولئك الذين هاموا بحياة الغرب فانساهم ذلك حضارتهم وتنكروا لماضيهم .

والمقال في جملته خلاصه سريعة خاطفه يقذفها صاحبها في وجه اولئك

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير

ص. ب ٦٥٦ ـ تلفون ٢٧٦٨٣

اميل خوري وعادل اسماعيل — السياسة الدولية في الشرق العربي

ميخائيل نعيمه — سبعون

فسطنطين زريق — نحن والتاريخ

الدكتور فيليب حتي — تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين الجزء الثاني

مارون عبود — نفدات عابـر

عمر ابـو ريشه — مختارات

اسكندر الرياشي — حب الملوك والسلاطين

مناقب ابـن عربي — تحقيق صلاح الدين المنجد

الدكتور حسن صعب — المفهوم الحديث لرجل الدولة

شفاء السائل لتهذيب المسائل — لابن خلدون

كولن ولسـون — تحقيق الاب اغناطيوس خليفه

جوزيف صائغ — سقوط الحضارة

امين نخـــله — سعيد عقل واشياء الجمال

بوسف الحويك — الحركة اللغوية في لبنان

ذكرياتي مع جبران

الجاحدين ، فيذكرهم ببعض جوانب التراث العربي المجيد ، وبالمكاسب العقلية والعلمية الكبرى التي قدمها للانسانية . وهكذا يعرج على ذكر اخوان الصفاء وما كان لهم من سبق في نظريات التطور وعلى ابن خلدون واضع علم الاجتماع قبل كونت . ويقف وقفة خاصة عند كتاب العربية الخالد ، القرآن ، مبينا بعمق الاسس الفكرية والانسانية التي وضعها ، وما كان له من شأن في توكيد النظر الكلي الشامل و لنظر الموضوعي والفكر المعلل والفكر المتأمل ، مبنيا بعد هذا كله ما كان لفرسة القرآن المباركة من آثار في تفكير العرب من بعد ، وما خلقه لديهم من اعتماد للمنهاج التجريبي الذي كان سببا في الدور الكبير الذي لعبوه في مجال العلوم من رياضيات وفلك وطب وغيرها .

والبحث كما قلنا خلاصة خاطفة ، فيها يحاول الكاتب ، حماسة منه لموضوعه ، ان يذكر قارئه بكل شيء في عجالة لاتتسع لكل شيء ، وهكذا يقع في عدم التركيز واضطراب الخطة . لاسيما ان البحث الذي تناوله لايجزيء فيه ان يكون موضوعاً لمقال وحيد ، ويحتمل دوما فضلا من التفصيل .

المتنبي والقومية العربية بقلم محمد خير الحلواني

في هذه الكلمة يحاول الكاتب ان يدحض ذلك الرأي السائد الذي ينسب الى المتنبي غيرة على العروبة وانتصارا لها . وينتهي الى القول بان مثل هذا المنزع خطأ شاع لدى الباحثين ، من أمثال الاستاذ شفيق جبري والاستاذ حنا فاخوري وعبد الوهاب عزام وأمين الريحاني وغيرهم، دون ان يكون في الواقع مؤيدا بحياة المتنبي أو شعره .

وصاحب المقال يجيد حين يبين أن السمة البارزة لدى المتنبي كانت طموحه الشخصي الذي كان يستبيح كل شيء في سبيله . اما الابيات التي يفندها والتي لايرى فيها شواهد على انتصار المتنبي للعروبة كما يرى غيره ، فلا تخلو نظرته اليها من فكرة مبيتة . ولا نستطيع ان نقول انه بدأ فعلا من شعر المتنبي لينتهي الى رأيه ، والاوضح من هذا انه بدأ برأي مبيت وأراد على أساسه ان يفسر بعض ابيات المتنبي .

والحق ان الابيات الجزئية التي اوردها ولم يجد فيها ما وجده غيره من روح عربية ، ينبغي ان تفهم ضمن الجو العام لحياة المتنبي وشعره كاملا . ومن القسر لاكثرها ان نسلبها معنى الانتصار للعرب . ومن العسير ان ننكر على الابيات الشهيرة التي مطلعها « وانما الناس بالملوك » روحها العربية وان نوافق صاحب المقال على رده لها الى « هجاء يصدر عن حقد » . ومثل ذلك يصدق على البيت الشهير « ولكن الفتى العربي فيها » ، فسواء كان الفتى العربي المقصود هو المتنبي او الفتى العربي بوجه عام ، يظل من الصحيح ان فيها لوعة على افتقاد العروبة في معاني الشعب .

وفي اعتقادنا ان البحث في حاجة الى مزيد من التنقيب والتقري والنظرة الشاملة الى جملة ديوان المتنبي وحياته . والا فهل من اليسير ان نتجاهل الروح العربية المبثوثة هنا وهناك في ارجاء الديوان ، وفي ابيات كالتالية :

ومجدي يدل بني خندف على ان كل كريم يماني
جزت بني الحسن الحسنى فانهم في قومهم مثلهم في الفرعدنانا
ـ ولو كانت دمشق ثنى عناني لبيق الثرد صيني الجفان
ـ وانا لمن قوم كان نفوسهم بها انف ان تسكن اللحم والعظاما

ان في مثل هذه الابيات ، حين تتردد وتتواتر ، مايمنح شعر المتنبي عبقا عربيا به ينبغي ان نفسر ابياته المفردة .

ومهما يكن من امر فمن التجني بعد هذا كله ان نصف عصر المتنبي كله ، كما فعل الكاتب ، بالبعد عن الشعور بالقومية العربية . فسيطرة الاعاجم على الامصار كما نعلم كان من شأنها اذكاء الشعور العربي لا اطفاؤه . ولم يمنع سيف الدولة خضوعه لسلطان بني بويه من ان يكون ممثلا للروح العربية الثائرة .

يوسف كرم ومأساة الانسان الحديث بقلم غالي شكري

عقل كبير ذوى منذ حين ، وذبالة مشرقة متوضعة انطفأ سناها من عالم الفلسفة ، ذلك هو يوسف كرم الذي يحدثنا عنه صاحب هذه الكلمة في عمق وجلال . وليست الكلمة حديثا عن شيخ الفلسفة الحديثة الراحل فحسب ، وانما هي في الوقت نفسه فلسفة تحدد خطوطها من خلال فلسفة الاستاذ . فالكاتب يصف لنا استاذه ، باحثا علميا ، ونصيرا لاتخاذ الفلسفة تجربة تعاني وتحيا . ويحدثنا عن ابتعاده عن تأسيس

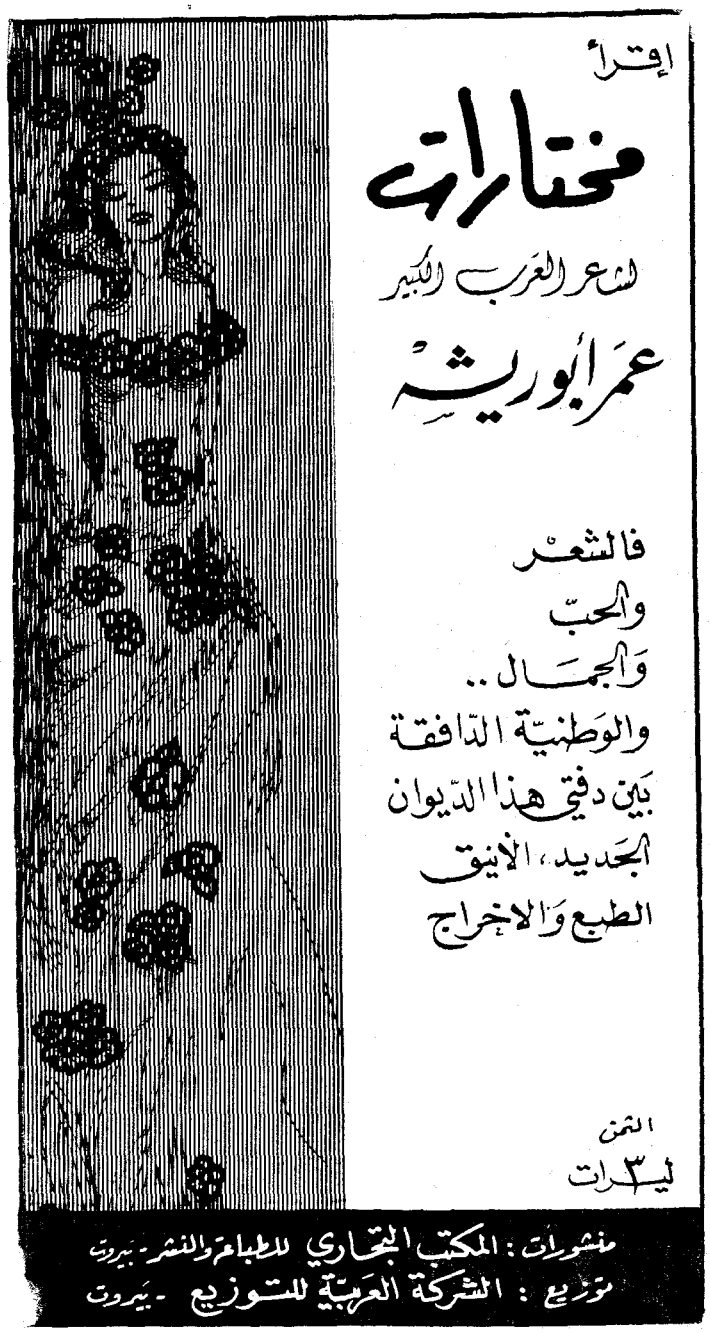

مدرسة فلسفية ايمانا منه بان طبيعة الدراسات الفلسفية « لاتدع من الباحثين فيها اساتذة ولا من طالبيها تلامذة ولا من اتجاهاتها مدارس » . كما يلخص لنا منهج أستاذه واصفا اياه بانه منهج العرض التاريخي

غير انه بعد هذا الوصف لمنازع الاستاذ مايلبث حتى يحاول ان يتجاوزه ، ان ينقده نقدا باطنيا فيه المحبة والتعاطف والتبرير ، حين ينطلق من مفاهيم هذا الاستاذ المتصلة بالفلسفة اليونانية والفلسفة في العصر الوسيط والفلسفة الحديثة ، الى مفاهيمه هو ، وحين يضع في مقابل تفسيرات استاذه التي تجنح في نهاية الامر الى العودة الى مذاهب اليونان ومذاهب ارسطو خاصة ، تفسيرات اخرى أكثر واقعية يحاول عن طريقها ان يبحث عن الظروف الموضوعية للمذاهب الفلسفية عبر التاريخ .

والكلمة في جملتها خير تمجيد للاستاذ الراحل لانها جديرة به في عمقها وروحها الفلسفية الواضحة المطمئنة . انها من الكلمات القلائل التي نشعر من خلالها ان كاتبها يستنشق حقا جو الفلسفة التي يكتب فيها ، ويعيش هذا الجو حتى الاعصاب والعروق .

دمشق — عبد الله عبد الدائم

نقد القصص

— تتمة المنشور على الصفحة ٥ —

وذلك لان الاثر الادبي الكامل يحمل في ثناياه عنوانا صريحا ينادي ، فلا يحوج الاديب الى البحث . وانما البحث الحق عن الموضوع والهيكل الذي يصاغ فيه ذلك الموضوع ، ولسوف ينبثق العنوان بعد ذلك جاهزا ويقدم لنا نفسه . وعلى ذلك يمكن ان نحكم بان الاثار الادبية الهزيلة التي لا تملك هدفا فنيا واضحا هي وحدها التي يتعب المؤلف في اختيار عنوان لها . وفي هذه الحالة يمكن ان تقترح عناوين غير قليلة يعوض احدها عن الاخر لانها كلها غير واضحة فهي تصلح عنوانا لاثر غير واضح المعالم .

وانا اميل الى ان اصنف قصة مي يتيم في الصنف الثاني . ان عنوانها « ألوان .. » عنوان عام لايصف شيئا ولا يعين شيئا ، وقد زاده التنكير ضبابية وضياعا ، فكان في ذلك جزء من اقصوصة لاتملك من مقومات الفن القصصي شيئا معينا . وللاسماء — كما يقول العرب — نصيب من مسمياتها .

ولعل اهم ماينقص هذه القصة هو وجود أزمة ، وقد نسيت الكاتبة — ويشفع لها انها ناشئة — ان الاصل في كل قصة ان تكون حكاية وان تقص علينا حادثا سرعان مايصل الى مستوى الاشكال فيثير اهتمام القارىء واذ ذاك يأتي الحل نوعا من الفرج والاستقرار . وقصة « الوان ... » خالية من هذا الاشكال خلوا تاما . انها لاتملك ذروة متأزمة وانما هي « مسطحة » كليا من بدايتها الى اخرحرف فيها حتى كادت تصبح نوعا من المذكرات تصف يوما عاديا من حياة رسام . حقا ان للقصة موضوعا واضحا هو حياة فنان في يوم ما من حياته ، ولكن هذا الموضوع لم يصغ في كيان فني من أي لون فلم تحدث الكاتبة عقدة للحادث وانما تركت الخرز مبعثرة لايشدها خيط . حسن الفنان يخرج الى الشارع وهو يشعر انه فاشل في فنه ، وهناك يلتقي بصحفي يصفه هو نفسه بانه « لسان ثرثار » ، وهذا الصحفي يحكم على حسن بانه « فنان كبير » . ثم يلتقي صاحبنا بفتاة يصفها بالسطحية وبانها « ليست فنانة » وبانها « كالبيغاء » وهذه الفتاة تشعره باهميته كاستاذ في فنه . واذ ذاك يعود الفنان الى غرفته وهو يشعر بانه « لم يفشل » . فاين العقدة في هذا كله ؟ وماذا كان الحل ؟ لاريب في ان مي يتيم ارادت التعبير عن فكرة ما ، غير انها في الواقع لم تحسن خلق الاطار القصصي المثير الذي تصوغ فيه الفكرة ولذلك تبدو قصتها بلا فكرة ولا عقدة .

وقد كانت في التأليف — ماعدا ذلك — عيوب فرعية ابرزها ذلك الحوار ذو الطبيعة المقالية عن المنظور والالوان فالمرء يشعر انه دخيل في القصة . ان الخروج بحكاية ما من سياق الاحداث الى سياق تقرير الحقائق العلمية والمناقشات التكنيكية امر قد يرد في القصص والمسرحيات الرصينة احيانا ، ولكنه ينبغي ان يكون دائما جزءا من الاحداث بحيث يلقي ضوءا على نفسية الاشخاص او يساعد على تقدم الحكاية والا عاد اشبه باستطراد علمي ليس له مكان فني .

ومن عيوب قصة «الوان » ان الاحداث فيها كانت بلا غاية . قد يقال في الدفاع عن وجود حادث مافي قصة ان مثل ذلك يقع في الحياة . والجواب على ذلك ان القصة الفنية المؤثرة لاتقص كل ما في الحياة وانما تختار وتركز لكي تحدث تأثيرا حادا مباشرا . ان الحياة منثورة غير مبلورة ولا مركزة والقصة تعزل كل ماهو ضروري حاد التأثير وتضمه في اطار . وعلى هذا الاساس نتساءل : ماذا كانت قيمة الاحداث في قصة مي يتيم ؟ لقد داس حسن على قدم سيدة في الشارع ، فما فائدة ذلك لهيكل القصة ؟ لقد رأى صحافيا ، فما جدوى ذلك للقصة ؟ وماذا لو انه لم يقابله ؟ وما دور الام ؟ لماذا لعنها حسن في اول القصة بغلظة وقسوة ثم احتضنها في اخرها ورفعها بين ذراعيه فجأة ؟ قد يكون الجواب على هذه الاسئلة ان الكاتبة مي يتيم ارادت ان تلقي ضوءا على نفسية حسن فجعلته يمر بهذه الاحداث . واعتراضنا على ذلك ان القصة القصيرة « وحتى الطويلة » لم تكن قط يوما ، ولن تكون ، وسيلة مباشرة للتحليل النفسي . وانما يأتي التحليل عرضا فيها ويأتي نتيجة لتسلسل الاحداث . والواقع ان احدى الغلطات الشائعة في قصتنا العربية ان يكون هدفها المباشر هو التحليل النفسي . ذلك ان هذا مغاير للحياة

اطلب « الاداب »

في المملكة المغربية الشريفة

من وكيلها العام السيد احمد عيسى صاحب

مكتبة الوحدة العربية

١٧ شارع الملكة (الاحباس)

الدار البيضاء

الانسانية ، والقصة ليست الا ظلا امينا للحياة . ان المرء لا يعيش لكي يدرس نفسه او نفسيات الناس وانما يعيش لان الحياة تفرض عليه ان يحبها وان يتمسك بها . وانما تأتي الومضات النفسية عبر معيشتنا للحياة . والحق ان الحياة تصبح مضحكة وسخيفة لو اننا عشناها وفق قواعد علم النفس او اردنا بها ان نكشف تجربة نفسية او نحو ذلك . ترانا نحب اصدقاءنا لاننا نحبهم ونحب صداقتهم ام لاننا مهتمون بدراسة سايكولوجيتهم ؟ كذلك ينبغي ان نترك ابطال قصصنا يعيشون بكل عواطفهم من اجل الحياة نفسها ، دون ان نجعلهم يمرون باحداث معينة تثبت لهم نفسية من صنف ما .

واذا درسنا قصة مي يتيم من ناحيتها الواقعية الاجتماعية وجدناها تستقي افكارها من منابع غير محلية (بعكس ما رأينا في قصة سميرة عزام) ويغلب على ظننا ان هنالك محاولة للتأثر بالشخصية التي اصبحت مقلدة كثيرا في الادب الاوروبي المعاصر : شخصية(روكانتان) بطل سارتر في (La Nausée) فهذا الفنان حسن يقاوم حبه لاهله ويتظاهر بتحجر العاطفة . ان محبة امه له « تثقل على نفسه » وهو يسمى حنان اخيه وتحذيراته المخلصة« مضايقات » ـ ويصطنع العلو الفكري فيسمي الفتاة التي يحبها « سطحية » ويصفها بانها مثل«البطة» وبذلك يجرد نفسه من الحب الذي هو اجمل مظاهر الانسانية في الانسان. ثم انه يقابل ملاحظات الصحفي بالبرودة ويصفه بانه « لسان ثرثار » ، ويمشي في الشارع بلا مبالاة فيدرس اقدام المارة ، ويتحدث عن كل ذلك وكأنه عمل بطولي . ثم هو يلعن ويسب ويتصرف تصرفا متوحشا . وكل ذلك لانه يريد ان يكون فنانا .. او ان يقلد بطل البير كامو الذي قتل انسانا لمجرد ان الشمس كانت حارة . والسؤال المثير هو : اين مثل هذه الشخصية في حياتنا العربية؟ ولماذا يجب ان نقلد اشخاص القصة الاوربية في قصصنا ؟ اني لاحب ان اتصور مي يتيم فتاة عربية طبيعية فيا اصالة الفرد العربي العادي بما فيه من عاطفة وحنان طبيعي وحب للمجتمع . ولذلك لا استطيع تماما ان افهم سر تحدثها بضمير المتكلم عن رجل بارد ميت الاحساس يريد ان يشتق فنه من لعناته لامه الطيبة الحنون واخيه المخلص ومن سخريته من صديقة رقيقة تحترمه وتضع فيه ثقتها ، ويحسب انه اذ داس اقدام المارة ارتفع الى ذرى الفن .

وبعد فلعل استعمال الضمير الغائب كان اقرب الى المعقول ما دامت الكاتبة تتحدث عن بطل رجل لا عن بطلة فتاة . ذلك ان الضمير المتكلم انما يستعمل في الحالة التي يحتاج فيها المؤلف الى ان يذهب عميقا وبعيدا في تحليل مشاعر بطله ولفتات ذهنه وخلجات قلبه ، ومثل ذلك قد يبلغ من التفصيل بحيث يتضمن التفريق بين ادق مظاهر السلوك الاجتماعي والنفسي بين الرجل والمرأة ، فهل حقا تستطيع فتاة ، اية فتاة ، ان تتكهن بما يحس به رجل في موقف ما ؟ سؤال مطروح ، على كل حال ، وقد يكون القطع بجوابه غير يسير.

ومهما يكن فنحن نحتاج الى قصة عربية تغمس القلم في بوادينا وخضرة نخيلنا وخشونة خيامنا ، وتصف الرجل العربي الذي يمشي في شوارع المدينة العربية ، تصفه بكل مشاكله وعواطفه وافكاره . اما ان نرسم ظلالا باهتة من اشخاص سارتر وكامو ونجعلهم يتكلمون بالعربية فان ذلك يفقدنا اصالة العروبة وخصوبة المنابع الموهوبة في قلوبنا. والخسارة جسيمة ، ففي الغد ينبغي ان ينبعث منا جيل من القصاصين الخلاقين يفرضون الروح العربية الفنية على الادب العالمي فرضا . ولن يأتي ذلك اليوم الا اذا كففنا عن النظر بازدراء الى ما في ايدينا من موهبة وخصوبة وتدفق . وما اصدق كلمة امرسن : « نحن نملك ما نحب وانما نحرم انفسنا بالاشتهاء. »

الحرب العالمية الثانية

١٩٣٩-١٩٤٥

موسوعة تاريخية مصورة عن الحرب الماضية تنشر لاول مرة في اللغة العربية وتصدر على اجزاء متتابعة بغلاف ملون

ثمن الجزء ٥٠ غرشا لبنانيا او ما يعادله

كتب فصولها :

- العسكريون الذين قادوا الجيوش
- السياسيون الذين دبروا الحرب
- الجنود الذين خاضوا المعارك
- الصحافيون الذين حضروا معاركها
- المؤلفون الذين درسوا مستنداتها

اشرف على اختيارها : **الاستاذ عمر ابو النصر**

اصدار : دار النشر المتحدة للتأليف والترجمة توزيع : **الشركة العربية للتوزيع** ـ بيروت

ـ ٣ ـ

« قرنفلة للاسفلت المتعب » لزكريا تامر

العنوان المبهم لهذا الشيء الذي اطلق عليه الكاتب اسم « قصة » هو « قرنفلة للاسفلت المتعب » وتفسره العبارة في القصة : « ربما سأقول لحظة اسمع تحطم عظام جمجمتي : خذي دمي يا مدينتي قرنفلة قرمزية لصدرك المتعب » ومن الحق ان نلاحظ ان العنوان عابر ولا صلة له بالقصة وانما هو مقتبس من عبارة ما ليس لانها مرتبطة بعقدة القصة وانما لمجرد ان فيها صورة شعرية . وقد كان من السهل ان تسمى القصة باي اسم اخر مقتبس من عبارات اخرى مثل « بحثا عن ربيع لا يرحل » او « بحارة بلا وجوه » او « المدينة التي لا تسافر اليها الشمس» فكل هذه الامور صور وردت في القصة ولست ارى في العنوان الحالي ما يميزه عنها من ناحية الصلة بالعقدة .

والواقع ان هذا « الشيء » ليس قصة وليس له من الكيان القصصي اي شيء . وانما هو مجموعة صور متعاقبة ملتقطة من زاوية فكرية معينة. ففي البدية نرى فتاة مجهولة لا اسم لها تضطجع على سريرها وتصغي الى اغنية تأتي من راديو الجيران وتغرق في حلم جنسي فظيع ينم عن شذوذ فيها . ثم يتلاشى المنظر وينتقل الى مشهد جنازة في الشارع لا صلة لها بالفتاة . ثم يأتي مشهد ثالث : شابان يتحاوران حول الموت والحياة وتتعاقب بعد ذلك مشاهد سريعة جدا، رجل يجتاز الشارع، شاب يلمس ذراع فتاة ، عامل يأكل ، رجل يقتل رجلا تحرش باخته ، قابلة تذهب لتوليد امرأة ، مقهى فيه رجلان يلعبان النرد ثم مشهد جنسي اخر تختتم به القصة . والحق ان ذلك كله لا يكون قصة وانما هو اشبه شيء بتلك الكوابيس المطربة المتنافرة التي قد يراها المرء بعد عشاء ثقيل ، فينتقل الذهن من مشهد بلا معنى الى مشهد اخر بلا معنى ويكون الانتقال مفاجئا ولا تكون هناك روابط . والطابع الكابوسي ملموس احيانا في قصة زكريا تامر مثل قوله : « ما زل الحمار سيدا . فليسقط أبي . فلتعش امرأة جارنا . كلنا سنموت . » ويبدو ذلك في تناقض العبارات المتعاقبة التي ينطق بها الاشخاص فتترك وقعا غريبا في النفس، فبينما يقول الشاب :

ـ ما الفائدة من الوقوف تحت الشمس ؟ لنسر .

تغني الفتاة الصغيرة :

ـ ايمتى بدك تجي يا ماما .. تأخرتي يا ماما

وبينما يقول الشاب المطعون :

ـ اوه سأموت ، لماذا تحرشت باخته ؟

ينادي الجرسون في المقهى :

ـ واحد قهوه

والمشاهد نفسها متناقضة تناقضا ملحوظا . ومن هذا كله يبدو انه لا يصح لنا ان نتحدث عن هذه القصة كبناء قصصي فليس لها كيان فني من اي نوع وانما هي تعاقب مشاهد يريد الكاتب ان يثير بها احساسا ما في نفس القارىء ، او يعطي انطباعا ما عن الحياة بمخطط رمزي. انها اذن ليست قصة وانما هي تخطيط اعتنى الكاتب فيه بالشكل عناية بالغة ، وعبر عن افكاره تعبيرا غنائيا حتى كاد يجعل للفكرة مظهر الموسيقى السمفونية . والحق ان المقطوعة كلها تذكر باجواء طالما اثارتها في نفسي الحركة الثالثة من السمفونية الرابعة لتشايكوفسكي حيث يحاول الفنان ان ينام فتنبعث في ذهنه مشاهد صوتية لها طبيعة الكابوس مثل منظر رجل سكران يتعثر في طريق ضيق ، وصدى نشيد حزين يغنيه اطفال الشوارع المشردون ، ومنظر فرقة من الجنود المشاة مزهوة بالبستها . وصدى يحاول الفنان ان يفقو الا بعد ان يستنفد ذهنه هذه الصور والاصوات . وانما تذكرني مقطوعة زكريا تامر بالموسيقى لان جوها كان منغوما الى درجة لا بد ان يكون الكاتب قد تعمدها ، فقد قام على الاصوات ورنين الكلمات فكان هناك صوت الراديو القادم من بين الجيران في فتاحية القصة ، واجراس عذبة الايقاع تقرع عبر سهوب شديدة الحزن، وضجيج القوارب ، وضربات المجاذيف الرتيبة ، واصوات الرجال السبعة الذين ارادو اغتصاب الفتاة ، وتحطم عظام الجمجمة على الاسفلت ، وغناء البنت الصغيرة ، وصوت المؤذن ، وضجة المقهى ، وقعقعة النرد وغير ذلك من الاصوات المسموعة . كما ان الكاتب تعمد ان يستعمل التنغيم في عباراته فكانت لغته موسيقة مملوءة بالصور وكأنه يقصدها لذاتها كعبارات شعرية جميلة دون ان يعنى كثيرا بان تكون لها صلة بسياق القصة ، وهذه امثلة :

« صوتها مدينة خضراء تسافر اليها شمس ناعمة الضوء وسماء زرقاء وعصافير تبحث عن ربيع لا يرحل واصداء اجراس عذبة الايقاع تقرع عبر سهوب شديدة الحزن ».

« موسيقى شبيهة بطيور رمادية محمومة فوق حقل اصفر . »

« فرحا باهرا غريبا يحمل في جوفه حزنا قد يتفتح ورده الاسود في كل لحظة . »

« بحارة يملكون اجسادا ... مبللة بعطور ليست رضية ولا يملكون وجوها . »

« عيناها حمامتان وديعتان تحطمت اجنحتهما »

« ابتسمت حبيبتي بغبطة ثملة وكان شرايينها امتلأت خمرا . »

ما اجمل هذه الصور ، وما احفلها بالشعر ، ولكن ما علاقتها بالقصة وماذا تضيف الى هيكل الاحداث ؟ وهل يصح للقصاص ان يغرق في اوصاف شعرية لا تنمي سياق موضوعه ولا تضيف اليه شيئا ؟ او ليس التركيز والاقتصاد خاصية ملازمة للقصة القصيرة بحيث ينبغي ان يستفيد الكاتب من كل كلمة يقولها في اضافة لمسة الى حياة شخصياته او الى تطور الاحداث ؟ قد يجيب الكاتب بان قصته رمزية وان الموسيقى تكون الجانب الرئيسي من كل رمز ناجح وجوابنا ان الرمزية في القصة ينبغي الا تكون هدفا واعيا للكاتب وانما عليه ان يقص الاحداث ويترك الرموز تتساقط عفوا بين يدي القارىء الواعي. فالحياة الحقة لا تقصد الرمز ولا التلميح وانما نحن نعيش لاننا نحب ان نعيش ومن حياتنا الطبيعية هذه تنبت الرموز والصور غنية كثيفة . وليس من الصحيح ان نعيش عيشة رمزية ، وان نكتب قصصا رمزية لمجرد اننا رمزيون . ان الحياة تأتي لولا ، ومنها تنبجس الرموز سواء اكان ذلك في القصص ام في في الحياة .

هذا كله من ناحية البناء والشكل العام للقصة . ثم نأتي لننظر في المضمون فماذا سنجد ؟ اننا بازاء عالم مظلم لا ينيره ضوء ولا فرح وكأن الحياة قد استحالت قبرا كبيرا كالحا . فالرجال في القصة اناس شهوانيون بلا عواطف وذلك بسبب القاسية والعذاب للمرأة ، والشجرة التي كانت تحبها العصافير تستحيل الى تابوت ، والرجل الذي كان له بيت وغد واحلام يصبح لحما باردا اصفر محمولا في نعش ، وحفار القبور رجل بلا انسانية يخفي الخبث وموت الشعور ، والطبيعة ـ التي يمثلها الغراب ـ تقف جامدة غير مبالية بهموم الانسان ، والشباب

متشائمون يتحدثون عن الموت والجنون وفراغ الدنيا وعبث الحياة ، والله .. حتى الله الذي يتصف بالرحمة يتحول في القصة الى ايذاء وكراهية وبرودة . وفي الدرب قتيل .. والحبيبة الطيبة التي هي منبع العذوبة والجمال تتحول الى مومس . ذلك هو الجو العام لقصة زكريا تامر التي تصور مدينة تعب فيها حتى الاسفلت كما يلوح من العنوان. قصة لا شيء فيها غير الرعب والعذاب والشر والجريمة . ما من نبضة طيبة تخفق ، ما من ابتسامة ، ما من خفقة حب ، فمن اين جاءنا زكريا تامر بكل هذا ؟ واين مثل ذلك في حياتنا العربية ؟

الواقع اننا في هذه الدنيا العربية ما زلنا اناسا غزيري العاطفة نحب الحياة ونتطلع اليها متفائلين، والرجل العربي العادي يؤمن بالعاطفة وبان الله كريم رحيم مملوء بالمودة ، وبان الطبيعة تتعاطف مع الانسان حتى لتبكي احيانا بدموع المطر وانين الرياح على جنازة عزيز . والرجل الذي تتحول حبيبته الى مومس لا يمكن ان يبكيها في مقهى وانما يقلب ان يقتلها قتلة شنيعة .. ثم اننا ـ وتلك نقطة اساسية ـ لا نشعر قط في هذا الشرق العربي بان المدينة شريرة او قذرة او انها تكرهنا . ذلك اننا ما زلنا شعبا يبني ، وما زالت مدننا العربية صبايا يافعة تفتح اعينها المبهورة على فجر جديد لا عهد لها به . انها مدن جديدة لم تبلغ مرحلة الشباب بعد ونحن ما زلنا نبنيها بأيدينا المتحرقة للنشاط والحياة بعد خمود قرون . وانما نجد صورة المدينة العجوز المريضة في شعر بعض شبابنا وقصصهم لان هؤلاء يستقون من اداب اوروبا العجوز حيث المدن قد شاخت واصبحت بؤرا للجريمة والمرض والظلام والنشيان، وحيث الادب المعاصر نفسه لا يعكس غير ذلك الجو القاتم الموبوء . وانه ليبدو مضحكا جدا ان نستعيد ثياب جيراننا القذرة الممزقة في الوقت الذي نملك نحن فيه انقى الثياب واحدثها واجملها . ذلك يذكرني دائما ببيت عميق المغزى من شعر الشاعر العربي المبدع سليمان العيسى يجري هكذا : (البحر الخفيف)

كيف راح السليم يبتر ساقيه
ليسعى زحفا على اعواد

فذلك هو حالنا حقا . نحن الاغنياء بالحياة والروح والاصالة والاخلاق نترك مواهبنا وينابيعنا بالخصوبة ونتطلع مستجدين الى ادباء اوروبا التي تتفسخ حضارتها وتحتضر وتقترب من نهايتها المحتومة . نحن الذين تقبل الدنيا علينا اليوم وتتطلع الينا لنعيد بناء العالم ، نحن انفسنا نزدري كنوزنا الفكرية والحضارية ونقف اذلاء على موائد الغرب المنحطة التي تشيع الجريمة والذعر واليأس والغثيان في انفس القراء. ولماذا نفعل ذلك واية مصلحة لنا فيه ؟

وبعد فان قصة زكريا تامر ليست متفردة في نهجها هذا بين القصص العربية . ان هناك عددا غير قليل من الكتاب يكتبون هكذا فلا يشتقون اجواء قصصهم من جونا العربي الملتهب بالحياة والنشاط والوعود المبشرة ، وانما يقتبسونها من منابع كتبية جامدة تقذفنا بها البلاد الاوروبية الكهلة المتشائمة . وهم بهذا يسكتون صوت عواطفهم الغزيرة ليصغوا مقلدين الى الضجة القادمة من الغرب . والمقلدون لا يبدعون حتى اذا كانوا اذكياء او موهوبين . وانما يبدع الاديب اذا هو ركن الى نفسه وعبر عن احاسيسه الحقة واندفع مع كل خلية في قلبه اندفاعا طبيعيا. او ليس الاديب انسانية مركزة ؟ وهل تشقى الحياة الانسانية وتذوي الا حين تكبت ويغلب عليها التصنع والجمود والتقليد ؟

وقد يكون الاهم من عنصر التقليد في قصة « زكريا تامر » ان الاشخاص ليسوا عربا وثقافتهم ليست عربية . فلماذا يقول هذا الشاب :

ـ كلنا مجانين . وديستويفسكي مجنون . سارتر ابله لا يحب الشمس. رامبو ولد غير مهذب . تشايكوفسكي ضفدع حزين . لوركا بلبل اسود . كافكا صرصار من حجر . جيمس ماسون طبل .

اليس هذا استخذاء امام الفكر الاوربي ؟ اي مسخ ذلك لشخصيتنا الفكرية بحيث لا نستطيع ان نتذكر اسما واحدا عربيا حين نحاول التعبير عن انفسنا ؟ وهل حقا ان المثقف العربي المتوسط يشعر ان من البداهة ان يتحدث عن لوركا ورامبو وسارتر بهذه البساطة ؟ هل هذه هي افكارنا ؟ هل تلك هي حياتنا ؟ الا ليت الكاتب قد ترك المؤذن الذي ينادي (الله اكبر) خارج قصته لكي نسميها له قصة اوروبية فنرتاح من نقده ونخف دهشتنا من العامل العربي الذي يخاطب الرغيف قائلا له :« يا عاري الكبير » .

واحب اخيرا ان اتحدث عن العنصر الاخلاقي في قصة زكريا تامر .

كانوا يقولون دائما ان الفن لا يتصل بالاخلاق وان ليس لنا الحق في ان ننقد فنا على اساس خلقي . وذلك حق ونحن نؤيده تأييدا قاطعا. فقد تكون القصة التي تصف جريمة اخلاقيةمنكرة قصة مكتملة منالناحية الفنية فتبهرنا بجمالها ونخشع امام الفن فيها . وانما تنهار القصة اذا كان المقصود بها ان نكتب فنا غير اخلاقي فتصبح اللااخلاقية غاية يستهدفها الكاتب ونضحي من اجلها بالفن والواقعية معا . والامر كذلك عندما تصبح اللااخلاقية نمطا شائعا او زيا مستوردا نفرضه على ما نكتب لمجردا انه مستعمل لدى غيرنا . وانا اكاد اميل الى ان اسمي قصة زكريا تامر شبه دعوة لهدم الاخلاق العربية ، سواء اكان الكاتب يقصد ان يدعو لذلك ام كان يكتب وهو غافل لمجرد انه ينساق مع دعوة خفية يبشر بها اناس وراء الستار . وما من دعوة ، من وجهة النظر القومية العربية ، اسوأ نية من الدعوة لهدم الاخلاق . فعلى اساس اي شيء سنبني مستقبل الامة العربية ان نحن تركنا شبابنا يرون مثلهم الاعلى في نموذج فتاة تحلم بان يغتصبها سبعة رجال ، ورجل تحولت حبيبته الى مومس ، وشاب يشعر بان الله يكرهه ، وفتى ينادي بوقاحة « فليسقط ابي ، فلتعش امرأة جارنا » ... وفتاة تتمنى موت امها ؟ هل هذه هي الاخلاق التي ستدفع الشباب العربي الى بناء امة شامخة تعطي من ذهنها الموهوب وروحها المكتنز حضارة تضيء الظلام ؟

ولعل خير صورة اختتم بها هذه الكلمة الطويلة عن قصة زكريا تامر هي عبارته التي انهى بها قصته :

« ما امنيتك ايها الرجل الكئيب ... ؟ »

« ان انام مئة سنة »

تلك خاتمة تصلح رمزا للقصة كلها . فها ان هذا الرجل العربي يحصر امانيه كلها في ان ينام مئة سنة . وليس هذا هو احساس العروبة اليوم . ان الشباب العربي يصحو اليوم ويهب منتشيا نشيطا ويفتح نوافذ تدخل منها شمس صباحية مفعمة بالرطوبة والعبير ، هذا الشباب يندفع اليوم في حرارة ونشوة لينفق طاقاته الفكرية والجسمية في بناء امة تعمل من المحيط الى الخليج ، فاين اين فينا نموذج هذا الرجل الخامل البليد الذي يريد ان ينام مائة سنة وكانه بمعزل عن الحياة كلها ؟ اوليس من حقنا ان ندعو لمثله بنومة لا يقوم منها ابدالدهر؟

بيروت — نازك الملائكة